

## لؤلؤة الأعماق...

كمال شرف،



كانت سراجة، ورائحة الورد في أيامه. هي دفء لياليه الباردة، ودواء آهاته المتناثرة. هي حقيبة سفره، ومخدته المريحة. هي بيته الواسع. هي روح تعيش لأجله، وهدف حياتها سعادته، لتحصل على سعادتها. لكنه دوماً كان يحلم باللؤلؤة الكبيرة التي يسمع عنها من الرحالة المسافرين عبر البحار. كان يشرب حلمه كل صباح لتلمع عيناه به، حتى يغوص في شوق، شارداً عنها، فتملكه الحلم البعيد وانتزع إحساسه بها.

فخاطبته وهي تحاول تحقيق حلمه: "أنا قاربك فارتحل على ظهري إليها، إلى لؤلؤة أحلامك المنشودة، فإني أدمن لمعة السعادة في عينيك". رحل على قاربه الذي كان بالأمس سراجة ورائحة الورد في أيامه، حتى وصل إلى جزيرة يقال إن لؤلؤته تسكن فيها. قفز مبتعداً عنها فرحاً مسرعاً ليبحث عن لؤلؤته، ونسيها على الشاطئ تتلاطمها الأمواج حتى أخذتها بعيداً عنه، وعن أحلامه.

ز قاص وفنان تشكيلي من اليمن.

وعندما كثرت دموعها غرقت إلى أعماق البحر،  
وكلما هبطت إلى الأعماق أطلقت نوراً ولمعاناً، وكان  
يزداد نورها ولمعانها كلما توغلت في ظلمات البحر،  
وحين وصلت إلى قعر البحر أصبحت لؤلؤة عملاقة  
أضاءت ظلمات الأعماق... وفي كل لحظة كانت  
تطلق لمعانها كالبرق، ليتفجر البحر. نجومًا تسافر  
إلى السماء لتضيء ظلاماً أحاط بعينيه...!  
وحين كان ينظر إلى السماء كان يراها في ضوء  
النجوم، وعندما ينظر إلى البحر كان يراها في كل  
موجة تحاول أخذه إليها...

كان مشغولاً بلمعان الرمال وألوان الأشجار، بأحجار  
ملونة تنتشر في كل مكان. وحين احتاج أن يتسلق  
نخلة ليرى المنظر من الأعلى... بحث عنها، ليتذكر  
أنه نسيها على الشاطئ. لقد تذكرها أخيراً، تذكر  
قاربه... سراجة ورائحة الورد في أيامه.  
فهوول إلى الشاطئ فلم يجدها، فانطفأت جزيرة  
أحلامه، فقد رحل سراجة! فتسمر في مكانه،  
متجمداً، بارداً... أما هي فقد وصلت إلى منتصف  
البحر وكانت باكية ودموعها تنزل بغزارة، ليس لأنها  
أضاعت طريقها، بل لأنها لم تره سعيداً بنجاحه  
وهو يقطف أعظم أحلامه.